مراجعات

مراجعة كتاب إعادة اكتشاف التراث الإسلامي: كيف غيرت ثقافة الطباعة والتحقيق عالمنا الفكري، أحمد الشمسي.

إعداد

يوسف مدراري

مركز أفكار للدراسات والأبحاث
Afkaar Center for Studies and Research

ALL RESERVED© 2026

جميع الحقوق محفوظة © 2026

مراجعة كتاب: إعادة اكتشاف التراث الإسلامي: كيف غيرت ثقافة الطباعة والتحقيق عالمنا الفكري.

الناشر: مركز نهوض للدراسات والأبحاث.

عدد الصفحات: 479 صفحة.

المؤلف: أحمد الشمسي

ترجمة: عبد الغني ميموني وأحمد العدوي

مراجعة: يوسف مدراري، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة محمد الأول، وجدة. المغرب

كتاب "**إعادة اكتشاف التراث الإسلامي: كيف غيرت ثقافة الطباعة والتحقيق عالمنا الفكري** " لأحمد الشمسي، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة شيكاغو الأمريكية، والذي صدرت نسخته الأصلية بالإنجليزية سنة 2020 (Rediscovering the Islamic Classics: How Editors and Print Culture Transformed an Intellectual Tradition) عن منشورات جامعة برينستون. يعتبر هذا الكتاب محاولة لمراجعة تاريخ الفكر الإسلامي الحديث وتشكلاته المبكرة بداية من القرن 19، وقد اعتمد المؤلف على مقاربة تاريخ الكتاب؛ حيث أرّخ لتقلبات الفكر الإسلامي بالانطلاق من دراسة وتتبع حركة نشر التراث العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك من خلال تتبع الخلفيات الفكرية للمحققين والناشرين وكذلك تسليط الضوء على الأجواء الفكرية التي تم من خلالها بعث الحياة في الكتاب التراثي. وعموما يدافع أحمد الشمسي عن أطروحة مفادها أن ظهور الطباعة وانتشارها في العالم العربي قد أحدث تطورات سريعة في بنيات الفكر وغير العديد من السلط العلمية لصالح سلط علمية أخرى كانت في الهامش.

أولا: ثقافة الكتاب وحالة المكتبات في عصر ما قبل الطباعة في العالم العربي

يفتتح الشمسي كتابه بتشخيص حالة المكتبات في العالم العربي في مطلع القرن التاسع عشر، ويسجل لنا الشمسي بالاستناد إلى معطيات وصفية وكمية أن المكتبات في البلاد العربية قد تعرضت لاستنزاف كبير لمحتوياتها، بسبب الجهود الكبيرة للعديد من المستشرقين والمغامرين الغربيين الذين أنفقوا أموالا طائلة في شراء المخطوطات العربية أو السطو عليها، ثم إرسالها إلى المكتبات في أوربا، بالإضافة إلى أن تجارة المخطوطات العربية تعتبر تجارة مربحة، فقد أقبل عليها كذلك بعض التجار العرب. كما أن الشمسي يعتبر أن الإهمال الكبير الذي تعرضت له المكتبات العربية مرده كذلك إلى سوء التصرف في أوقاف المكتبات. هذا الوضع استنزف المكتبة العربية في المشرق، وفُقدت العديد من الكتب،

خصوصا كتب المتقدمين مما جعل كتب المتأخرين أكثر انتشارا وتحتل الصدارة في المقررات التعليمية في المدارس الدينية.

يشير الشمسي إلى أن الحملة الفرنسية على مصر قد أثرت بشكل كبير على وضع المكتبات ورواج الكتاب العربي؛ حيث أفرغ المستشرقون المكتبات المصرية من محتوياتها إما عن طريق النهب أو الاحتيال على قيمي المكتبات، أو محاولة أغرائهم بالمال كما هو الحال بالنسبة للألماني أولريش ستزن (ت. 1811) (Ulrich Jasper Seetzen)، الذي كان طبيبا ومغامرا ومستشرق هاو يشتري المخطوطات ويرسلها لأمير غوتا في ألمانيا (الشمسي، 46-45). كما لعب القناصل الأوربيون دورا مهما في إفراغ المكتبات العربية وإغناء رصيد المكتبات الأوربية من المخطوطات العربية، وهنا يذكر الشمسي مثالا لمكتبة جامعة لايبتزج والمكتبة الملكية في برلين اللتين اغتنت محتوياتهما عن طريق جهود القناصل الأوربيين في شراء مكتبات العلماء المتوفين، ومن أشهرها مكتبة عائلة الرفاعي الدمشقية التي انتقلت كاملة إلى جامعة لايبتزج بألمانيا، ومازالت تحمل نفس الاسم إلى اليوم (الشمسي. 49-50). ويشير الشمسي أن بعض الغربيين كانوا يبررون عمليات الاستيلاء على المخطوطات العربية بكونهم ينقذونها من الضياع والإهمال في إطار ما يسمى بعبء الرجل الأبيض (white man's burden) (الشمسي. 54).

يقدم الشمسي الأدلة على أن ضعف الاقبال على كتب المتقدمين في القرن 19 مرده إلى عاملين رئيسين: الأول هو الاعتماد الكبير على النصوص المدرسية لعلماء متأخرين، ثم ذيوع الفكر الصوفي الذي يعتمد على المعرفة الباطنية ويقلل من شأن المعرفة التي مصدرها الكتب؛ فقد رصد المؤلف أنه مع بداية القرن 16 أصبح هناك توجه في العالم الإسلامي للاعتماد في التدريس على النصوص المختصرة والتي تحفها طبقات من الشروح: الشرح الأساس، الحاشية ثم التعاليق أو التقرير، وكانت الكتب المتأخرة هي عمدة التدريس، وانحصرت الكتب المتقدمة المنتمية إلى القرن الثالث أو الرابع أو الخامس الهجري. فمثلا في العقائد نجد غياب كتب الأعلام المؤسسين في المقررات التعليمية، مثل كتب الأشعري

(ت. 936) أو الماتيريدي (ت. 944) أو الباقلاني (ت. 1013) (محمد عبده،1993، ج.3، ص. 339) وهذا ما انتقده محمد عبده (ت. 1905) على علماء الأزهر بطريقة تهكمية (الشمسي. 81-82) (عبده، 1902، ص. 570). ومما كرس هذا الاهتمام بالكتب القريبة من عصر المؤلف هو أن بعض العلماء كان يذهب للقول إنه لا يجوز للعالم أن يستشهد إلا بالكتب التي درسها على مدرس له سند. وهذا ما ساهم بشكل كبير في تهميش النصوص المتقدمة (الشمسي. 90). لكن المؤلف يعتقد أن هذه الظاهرة يمكن تفسيرها جزئيا بظاهرة النقص في الكتب المتاحة، أي أنه آلية من آليات التأقلم مع ندرة الكتب (الشمسي. 91).

هناك عامل آخر - حسب الشمسي- ساهم في ضعف الاقبال على الكتب وهو انتشار الفكر الصوفي؛ الذي كان يعتبر أن المعرفة الحقة تُتلقى مشافهة من عند الشيخ العارف وليس مجالها الكتب، فكانت النصائح الموجهة للطلاب هو عدم الاعتماد على الكتب، فتم إطلاق لقب "الصحفيون" على هؤلاء الذين يأخذون العلم من الكتب. (الشمسي. 93). فكان شيوخ الصوفية ينصحون المريد الذي يريد الانخراط في الطريق الصوفي أن يتحلل من كتبه ومن معارفه التي تلقاها من الكتب، لأن الحقيقة غير موجودة في الكتب، وأن الكشف والالهام يمكن أن يكون فيه حل للمشاكل العلمية العويصة. ويعتبر الشمسي المتصوف المصري عبد الوهاب الشعراني (ت. 1565) من أهم العلماء الذين روجوا لهذه الفكرة، فقد أمره شيخه الصوفي على الخواص (ت. 1533)، وقد كان أميا، أن يتخلص من كتبه (الشمسي. 99). وذاع صيت العديد من شيوخ التصوف الذين كانوا أميين، والذين خضع لهم علماء كانت لهم مكانة علمية كبيرة، فساهم ذلك في التقليل من شأن الاهتمام بالكتاب. وكان يتم النظر إلى الكتب باعتبارها تتضمن معارف سطحية لا ترقى إلى المعارف الباطنية، ثم إن العارف أو الولي يمكنه الاتصال مباشرة بالرسول دون الاعتماد على التقاليد والأعراف العلمية، بالإضافة إلى اعتبار الكشف الصوفي من مصادر المعرفة؛ فالباجوري (ت. 1860) يعتبر أن الكشف أساس صحيح في إثبات العقائد (ص. 106). ونفس الشيء قال به عبد الغني النابلسي (ت. 1731)، وبسبب هذا النزوع الباطني انتشرت في أوساط العلماء التنجيم

والعرافة وعلم الرمل (معاني أشكال الرمل التي تتشكل حين رميه) والجفر (استخدام الحروف لمعرفة أشياء خفية) (الشمسي. 108-109)، حتى أن بعض العلماء أفتى بجواز تعلم السحر (اليوسي، ص. 160). وقد انتبه المؤلف إلى نشوء تيار من العلماء رفض الحصار المفروض على ثقافة الكتب وخصوصا شخصية مرتضى الزبيدي (ت. 1791) صاحب القاموس الضخم "تاج العروس" وكتاب "إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين". ثم العالم الآخر هو محمد الشوكاني (ت. 1834) (الشمسي. 115-117). ويخلص المؤلف إلى أن تلك العوامل المتمثلة في سيادة المتون المدرسية بالإضافة إلى انتشار الفكر الباطني قد ضيق الآفاق الفكرية في الأوساط العلمية الإسلامية وساهم في تهميش الكتب المتقدمة. إلا أن هنالك علماء ساهموا بشكل كبير في البحث عن الكتب المتقدمة وجعلها في حيز الاستخدام والرواج (الشمسي. 122).

ثانيا: بداية الطباعة وظهور جيل من محبي كتب التراث

يرصد الشمسي معطيات تدل على أن الطباعة قد تأخر دخولها إلى البلاد العربية ويرجع ذلك إلى العراقيل البيروقراطية التي وضعتها السلطات العثمانية (عباس طاشكندي، 75)، بالإضافة إلى التهديد الذي شكلته الطباعة لمهنة النساخ، بالإضافة إلى اعتبارات موضوعية متمثلة في صعوبة الطباعة بالعربية بسبب الحروف العربية المتغيرة والمتصلة ببعضها (الشمسي. 123-124). وقد كانت المحاولات الطباعية الأولى في القرن الثامن عشر محصورة في أوساط غير مسلمة في البلاد العربية خصوصا بين أوساط مسيحي سوريا، بسبب تمويل تلك المطابع من التبرعات الأوربية. ثم يضيف المؤلف أن مصر قد حظيت بمطبعة جلبها الفرنسيون عند غزو مصر في حملة نابوليون من أجل نشر الدعاية الفرنسية (الشمسي. 126-127)، هذه المطبعة التي سيطورها محمد علي باشا عند حكمه لمصر. وقام بإرسال متدربين للمطابع الإيطالية من أجل اكتساب التجربة؛ فقد أرسل محمد علي السوري نيقولا مسابكي (ت. 1830) إلى إيطاليا فعند عودته أشرف على إنشاء مطبعة بولاق في القاهرة،

ودشن المطبعة بنشر قاموس إيطالي عربي سنة 1822، وفي غضون عشرين سنة نشرت مطبعة بولاق ما يزيد عن ثلاثمائة عنوان معظمها في العلوم العسكرية والرياضيات والطب، ولم تشرع في طبع الكتب الإسلامية وكتب اللغة العربية إلا سنة 1826، واهتمت بالدرجة الأولى بطبع الكتب الإسلامية التي كانت مقررة في المدارس الدينية (الشمسي 128-129).

ولقد رصد المؤلف تطور الطباعة في مصر من خلال النشاط الحثيث لمطبعة بولاق، ففي ثلاثينيات القرن التاسع عشر سمحت السلطات المصرية لمن سمتهم بالملتزمين بنشر كتب يختارونها، فتقدم العديد من العلماء والمثقفين من المصريين وغيرهم بطلبات من أجل نشر كتب معينة (الشمسي. 134-135). فعندما سافر رفاعة الطهطاوي (ت. 1873) إلى فرنسا، استرعى انتباهه الكثير من الكتب التراثية العربية التي كانت تحظى باهتمام المستشرقين الفرنسيين مثل سلفسر دي ساسي (Silvestre de Sacy) (ت. 1838) الذي كان عنده اهتمام بمقدمة ابن خلدون وقام بتحقيق "**مقامات الحريري**"، فنجح الطهطاوي في نيل الموافقة على نشر "**كتاب الخطط**" للمقريزي (ت. 1442)، و"تفسير الفخر الرازي" (ت.1210) وتاريخ ابن خلدون بمقدمته (الشمسي. 143-144).

مع ازدياد حركة الطباعة في مصر سيظهر دور المصحح، فقد كان المصححون لا يظهرون أسماءهم كما هو الحال الآن، ويكتفون بذكر أسمائهم في آخر الكتاب وهي نفس تقاليد كتابة المخطوط؛ حيث يكتب الناسخ اسمه في قيد الفراغ من المخطوط. ومن أشهر المصححين في مطبعة بولاق نجد نصر الهوريني (ت. 1874) الذي صحح **مقدمة ابن خلدون** (ت. 1406) وأعدها للطبع (الشمسي. 149-150) (Dayeh,2019, 254-256). من المصححين المشهورين محمد قطة العدوي (ت. 1864) الذي صحح كتاب **الخطط** للمقريزي. وقد كان هؤلاء المصححون يبذلون جهودا كبيرة في تصحيح الكتب رغم قلة الإمكانيات وصعوبة الحصول على الكتب من أجل المقابلة (الشمسي. 155-156). لم يكن هؤلاء المصححون علماء مستقلين بل كانوا موظفين في المطبعة، لكن عمل الهوريني الكبير سيظهر في عمله على تصحيح "**القاموس المحيط**" للفيروز أبادي وإعداده للطبع.

بعد أن استقرت الطباعة في مصر ستعرف مرحلة ستينيات القرن التاسع عشر في مصر ظهور جيل جديد من محبي كتب التراث ومستعدة للدفع جيدا من أجل الحصول على الكتب المطبوعة للتراث، وقد كانت هذه الفئة المثقفة تثمن اللغة العربية الفصيحة والمخطوطات النادرة بالإضافة إلى الولع بالتدقيق اللغوي (الشمسي. 170)، ومن أشهرهم عبد الحميد نافع (ت. بين 1861-1863)؛ حيث أن ثراء عائلته مكنه من تكوين مكتبة كبيرة واقتناء المخطوطات وتوظيف المصححين لضمان دقة نسخه ومول نشر العديد من الأعمال الأدبية، وأسس مجالس منتظمة للنقاش حول الأدب والتراث العربي، فانتعش بتلك المجالس الطلب على الكتب التراثية التي أصبحت متاحة ومنها **كتاب الأغاني** الذي يعتبر أكبر موسوعة أدبية (الشمسي. 175). وانتشرت موضة الولع بالكتب النفيسة؛ حيث وقع تنافس بين النخب فيمن يمتلك أندر المخطوطات.

من الشخصيات التي ساهمت بشكل كبير في انتشار الكتب التراثية أحمد تيمور (ت. 1930) وينتمي إلى عائلة ذات وجاهة وثراء، وقد تتلمذ تيمور على العالم محمد التركزي الشنقيطي (ت. 1904) الذي غرس في تيمور حب العربية وكتب التراث. محمد الشنقيطي ساهم بدور كبير في إحياء التراث؛ حيث اشترك مع محمد عبده (ت. 1905) في نشر عملين لعبد القاهر الجرجاني (ت. 1078) "دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة" وأخرج طبعة لقاموس المخصص لابن سيده (ت. 1066) (الشمسي. 185). وقد كانت المساهمة القيمة لأحمد تيمور في مجال نشر التراث تكمن في تأسيسه لمشروع "شركة طبع الكتب العربية" سنة 1897 وساهم هذا المشروع في نشر العديد من كتب التراث العربي، وكانت مكتبة تيمور التي تضم خمسة عشر ألف كتاب نصفها من المخطوطات والتي تعتبر أهم آثار احمد تيمور. ثم سلط الشمسي الضوء على شخصية مصرية كان لها دور كبير في بعث التراث العربي وهي شخصية أحمد بك الحسيني (ت. 1914) الذي بذل جهدا كبيرا في إحياء تراث الإمام الشافعي (ت. 820)، وكان من أهم مآثره هو نشر كتاب **الأم** للشافعي، ثم تكوينه لأهم مكتبة

في الفقه الشافعي في عصره، وسافر كثيرا وأنفق أمولا طائلة من أجل تملك مخطوطات الكتب (الشمسي. 192).

الشخصية الأكثر أهمية في إحياء التراث هو أحمد زكي باشا (ت. 1934) قيدوم المحققين في العالم العربي، وقد بدأ مساره العلمي سنة 1890 بدراسة "بيبليوغرافية عن الموسوعات العربية" بالفرنسية، وقد ساهم زكي باشا في إنشاء أول جامعة حديثة في مصر سنة 1908، (الجامعة المصرية التي ستسمى فيما بعد بجامعة القاهرة) وشغل منصب أستاذ كرسي الحضارة. وقد كان انشغال زكي باشا بالتراث موجها نحو أوربا وإلى تقاليد المستشرقين الأوربيين، ورغم اهتمامه بإحياء التراث العربي الإسلامي إلا أنه كان شديد الاهتمام بمصنفات المستشرقين (الشمسي. 215). وداوم على حضور مؤتمرات الاستشراق بدءا من سنة 1892. وقد كان أول كتاب حققه زكي باشا هو تاريخ السخاوي (ت.1497). وقد قام زكي باشا بتوطين ممارسات المحققين من المستشرقين في العالم العربي من خلال تبنيه لمناهجهم في تحقيق كتب التراث العربي الإسلامي. (الشمسي. 219).

من أجل تكوين مكتبة كبيرة، كان زكي باشا حريصا على تتبع صفحة الوفيات من جريدة الأهرام، فإذا وجد عالما متوفى سارع إلى شراء مكتبته، وسافر خارج مصر إلى بلاد الشام واليمن وإسطنبول لشراء المخطوطات وما لم يستطع شراءه قام بتصويره (الشمسي. 219-220). وقد سعى زكي باشا لتطوير المكتبات في الدولة العثمانية بعد أن زار العديد من المكتبات في إسطنبول وضع تقريرا مفصلا من أجل تطوير المكتبات قدمه للدولة العثمانية، وكان أهم مقترحاته هو انشاء مكتبة مركزية تضم محتويات جميع المكتبات (الشمسي. 225). وقد أخرج زكي باشا ثلاث مصنفات وهي ""**الأدب الصغير**" و"**الأدب الكبير**" لابن المقفع (ت. 759)، و"**كتاب التاج**" المنسوب للجاحظ (ت. 868)، وضع زكي باشا اسمه في المؤلفات الثلاث على كونه المحقق، ليصبح منذ تلك اللحظة بديلا عن كلمة المصحح. واعتبر زكي باشا أن دور المحقق في كونه وسيطا بين المخطوطة والنشرة المطبوعة (الشمسي. 232). ثم عمل زكي باشا على إخراج مشروع مهم وهو "إحياء الآداب العربية"

حيث أقنع الحكومة المصرية بتمويل نشر التراث العربي (الشمسي. 234). وقد خلف زكي باشا مكتبة ضخمة، التي ستصبح فيما بعد جزءا من دار الكتب المصرية، حوت الآلاف من المخطوطات والكتب العربية وكتب باللغات الأوربية، ووضع قواعد التحقيق في الوطن العربي بالاستناد إلى مناهج المستشرقين في تحقيق النصوص العربية.

ثالثا: كتب التراث أداة للإصلاح والتغيير الاجتماعي

يشدد الشمسي على أن إدخال الطباعة وإحياء كتب التراث قد فتح آفاقا وإمكانات جديدة للنخب العلمية وكذلك العلماء التقليديين، إلا أن العلماء من ذوي المشاريع الإصلاحية قاموا باستغلال الإمكانات الكبيرة للطباعة من أجل خدمة هدفهم المتمثل في الإصلاح والتغيير الاجتماعي. وقد ركز الشمسي على شخصيتين رئيستين وهما محمد عبده (ت. 1905) والسوري طاهر الجزائري (ت. 1920).

عمل محمد عبده على محاولة الإصلاح اللغوي، منطلقا من فرضية أن تخلف الشعوب الإسلامية نابع من ضعف مستوى اللغة العربية فيهم، وأن تخلف المجتمعات المسلمة جعلت اللغة العربية مفتقرة إلى المفردات للتعبير عن الاكتشافات العلمية. وسلط الشمسي الضوء على رؤية عبده للإصلاح من خلال إدخال كتب جديدة في المقررات التعليمية، لم تكن معروفة في الأزهر، فمثلا قرر تدريس "**تهذيب الأخلاق**" لمسكويه بالإضافة إلى بعض الكتب المترجمة في مجالس خاصة في منزله، ثم في دار العلوم قرر تدريس **مقدمة ابن خلدون** (ص. 247). وفي مجال نشر التراث قرر محمد عبده نشر **مقامات بديع الزمان الهمذاني** (أواخر القرن الرابع الهجري) وكذلك "**نهج البلاغة**" وهو عبارة عن خطب منسوبة لعلي بن أبي طالب، وفي أثناء إقامته في بيروت التقى رشيد رضا (ت. 1935) التي ستتطور علاقتهما في بعد ويؤسس رضا لمجلة المنار الشهيرة (ص. 248-249). ولعب عبده دورا مهما في إنشاء المكتبة الأزهرية الموحدة، بالإضافة إلى كونه صاحب فكرة إدخال دراسة الأدب في الأزهر، واستطاع أن يعين أستاذين للأدب العربي في الأزهر. وكان لعبده دور

كبير في لفت الانتباه إلى تراث عبد القاهر الجرجاني وإدخاله في المقررات التعليمية. ثم ساعد على نشر **المدونة** لسحنون، وراسل سلطان المغرب مولاي عبد العزيز (حكم بين 1894-1908) من أجل الحصول على نسخة من مخطوطة للمدونة في جامع القرويين وقد لبى طلبه بإرسال المخطوطة، إلا أن عبده كان توفاه الله.

الشخصية الثانية التي ناقش الشمسي دورها في إحياء التراث هو السوري الشيخ طاهر الجزائري (ت. 1920) الذي ولد في دمشق من عائلة جزائرية هاجرت إلى سوريا بعد هزيمة الأمير عبد القادر. أول ما قام به طاهر الجزائري في الشام هو جمع مخطوطات كتب ابن تيمية (ت. 1328) التي كان الكثير منها محفوظا في مكتبات مختلفة في دمشق وغيرها، ثم بدأ الإصلاحيون وعلى رأسهم الشيخ طاهر يجمعون تلك المخطوطات في المكتبة الظاهرية، التي أصبحت فيما بعد مركزا لدراسة تراث ابن تيمية. وكان الشيخ طاهر ينسخ كتب ابن تيمية خصوصا تلك التي تخدم أهدافه في النيل من العلماء التقليديين؛ حيث كان ينسخها ويبيعها بثمن زهيد دون أن يذكر مؤلفها.

كان الشيخ طاهر الجزائري، يحث الناشرين على نشر بعض كتب المعتزلة مثل كتاب "الانتصار" لأبي الحسين الخياط المعتزلي (ت. 933)، هذا الكتاب الشديد الأهمية والذي تحصل طاهر الجزائري على نسخة وحيدة ونادرة له، ووافق أحد الناشرين على نشره، وكتب الشيخ طاهر مسودة لتكون مقدمة لنشر الكتاب، لكن الناشر تراجع عن نشر الكتاب. ثم كان الفضل للمستشرق السويدي نيبيرغ (ت. 1974) في نشر هذا الكتاب النفيس، نيبيرغ الذي اعترف في مقدمة تحقيقه أن طاهر الجزائري هو الذي اكتشف الكتاب (محب الدين الخطيب، 1925، ص. 126).

تحصل الشيخ طاهر الجزائري على ثلاث نصوص كلامية وفلسفية لابن رشد التي نشرها ماركوس مولر (ت. 1874) (Marcus Joseph Müller) سنة 1859 في ميونيخ تحت عنوان: *Thelogie und Philosophie von Averroes*، وتضمن هذا الكتاب أول تحقيق علمي "لمناهج الأدلة في عقائد الملة" و"فصل المقال" وقد أحضرها أحمد تيمور

(ت. 1930) لطاهر الجزائري وضمها هذا الأخير إلى مكتبته. ولكن طاهر الجزائري قام بالتحشية عليها مضيفا إليها تعليقات ابن تيمية المتضمنة في «درء تعارض العقل والنقل». وأشار الشمسي أن طاهر الجزائري أول من تنبه إلى توظيف ابن تيمية لابن رشد في مشروعه في نقد علم الكلام والأشعرية على وجه الخصوص.

وقد لخص الشمسي باحترافية الدور الذي قاتم به عبده وطاهر الجزائري في نشر التراث وإعطاء أهمية لتراث منسي من التراث العربي، ومحاولة اكتشاف الحداثة من خلال التراث العربي، كما أن كلاهما ساهما في تكوين جيل من الطلاب وإنشاء مؤسسات تعليمية، وإصلاح المؤسسات التعليمية القائمة (ص. 280-281).

رابع: وتوظيف الطباعة في الصراع والتنافس المذهبي والفكري

ناقش الشمسي كيف قام العديد من الإصلاحيين الذين يسميهم البعض بالسلفيين، بالاهتمام بأعمال ابن تيمية؛ حيث رأوا فيه روحا ملهمة مناهضة للجمود. لكنهم نشروا أعمالا كذلك لابن سينا (ت. 1037) ومسكويه (ت. 1030) والغزالي (ت. 1111) وابن عربي (ت.1240) (الشمسي. 285). يشدد الشمسي الضوء على أن المصلحين في نهاية القرن 19 قد أنشأوا شبكات للعديد من العلماء الذين كان لديهم اهتمام مشترك، وأصبحت لهؤلاء العلماء علاقات عابرة للحدود في كل من مصر الشام والعراق والحجاز واليمن والمغرب العربي والهند، كان الهدف من تلك الشبكات هو تبادل المعلومات بخصوص المخطوطات والتعاون من أجل نشرها خصوصا مخطوطات أعمال ابن تيمية وتلاميذه.

أشار الشمسي إلى أن السلفيين الأوائل قد فضلوا نشر كتبهم في الهند بدل القاهرة، وقد لعب صديق حسن خان (ت. 1890) دورا مهما في حركة نشر الكتب السلفية؛ فقد نظم سنة 1869 الحج إلى مكة وقام بشراء مخطوطات كتب لم تكن رائجة خصوصا مؤلفات ابن تيمية والشوكاني، ومن كتب ابن تيمية المقتناة "**الرد على المنطقيين**" بخط

ابن تيمة نفسه. جهود صديق حسن خان لم تتوقف في إحياء تراث ابن تيمية؛ فقد قام بتعيين وكلاء في العالم الإسلامي من أجل توزيع الكتب السلفية، ومن أشهرهم الشيخ أحمد بن عيسى في مكة، هذا الأخير التي كان يرسل الكتب المخطوطة لصديق حسن خان من أجل طبعها وتوزيعها. ومن الكتب التي أرسلها كتاب "العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية" لابن عبد الهادي (ت. 1343)، ثم مجلد فيه أربعة وخمسون مسألة لابن تيمية، ثم "كتاب شرح التوحيد"، لشيخ الديار النجدية عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت. 1869)، و"مفتاح دار السعادة" لابن قيم الجوزية (ت. 1349) (الشمسي. 285-288).

يكشف الشمسي على أنه في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 تكونت شبكة من العلماء المهتمين بإحياء تراث ابن تيمية لعلماء في كل من: بغداد، دمشق، نجد، مكة، الهند، هذه الشبكة يكشفها لنا مراسلات شكري الآلوسي (ت. 1924) مع جمال الدين القاسمي (ت. 1914)، ومراسلات صديق حسن خان مع تاجر الكتب أحمد بن عيسى. وأما الاهتمامات الأولى بتراث ابن تيمية في الشام، فقد كان من قبل عبد الرزاق البيطار (ت. 1916) وطاهر الجزائري وكان اهتمامهم في البداية بتراث ابن تيمية كردة فعل على حركة التحديث القوية من قبل الدولة العثمانية.

لعب جمال الدين القاسمي دورا كبيرا في استنهاض الهمم من أجل نشر تراث ابن تيمية، ويذكر أن تراث ابن تيمية يحتاج إلى مضاعفة المجهودات من أجل طبعه ويشكو في نفس الوقت تقاعس رجال المذهب الحنبلي عن القيام بمهمة نشر تراث ابن تيمية. قام جمال الدين القاسمي بتحفيز من شكري الآلوسي بمراسلة محمد نصيف (ت. 1971) ، من أعيان مدينة جدة، من أجل استنهاض همته في نشر تراث ابن تيمية، لأن بذلك النشر سيتم نشر المذهب السلفي، ويتم منافسة المذاهب العقدية الأخرى، لأن ما يطبع من الكتب في نظره لا يزيد إلا ضعفا في العقيدة، بالإضافة إلى أن المطابع لا يهمهم إلا الجانب التجاري. ثم سلط الشمسي الدور الذي لعبه كتاب نعمان الآلوسي (ت. 1899) "**جلاء العينين في**

محاكمة الأحمدين" (ابن تيمية والهيثمي) الذي أعاد الاعتبار لابن تيمية بعد أن كان منسيا ولا يذكر في كتب التراث التي تلت وفاته (الشمسي. 298).

كما تحدث الشمسي عن دور تطور نقد النصوص والفيلولوجيا في العالم العربي بسبب حركة إحياء التراث القوية، وما رافق ذلك من صراعات فكرية بين فريق يتبنى الأصالة مثل محمود شاكر (ت. 1997) وبين من حاول تبني بعض طرق النقد التاريخي والفيلولوجي في العالم العربي مثل طه حسين (ت. 1973)، الذي دشن دعوات الشك في بعض النصوص العربية، وذلك بسبب تأثير العديد من المستشرقين في الأوساط العربية خصوصا وأن بعضهم كان يدرس في جامعة القاهرة.

تنبه الشمسي إلى أن العلماء التقليديين كانوا أقل انخراطا في حركة نشر التراث، إلا أن العالم التركي محمد زاهد الكوثري (ت. 1952) الذي استقر به الحال في مصر وقبلها دمشق بعد تفكك الخلافة العثمانية، وكان يسخر نشر التراث من أجل تأكيد نمط التدين التقليدي المؤسس على الفقه الحنفي والعقيدة الماتيريدية، فكان يقوم بما يمكن أن أسميه الإحياء المضاد (مدراري، 2022، ص. 95-97) أي إحياء أعمال العلماء الذين كانوا على خصومة مع ابن تيمية ومع الحنابلة بصفة عامة. وكان الكوثري يستغل حواشي الكتب التي ينشرها من أجل تصفية حساباته المذهبية مع الحنابلة وعلى رأسهم ابن تيمية (الشمسي. 345-346)، بل كان الكوثري يحث الأزهر على الوقوف ضد نشر بعض الكتب التي يعتبرها تتعارض مع معتقدات المؤسسة الدينية الرسمية.

وقد أعاد الشمسي الاعتبار لشخصية علمية مهمة وهي عبد الرحمن المعلمي اليماني (ت. 1966)، الذي بدأ وضع تقليد علمي عربي أصيل في نشر كتب التراث، وقد كان المعلمي يعمل مساعدا بدائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد بالهند، وقد كتب المعلمي العديد من الأعمال حول التحديات والمناهج وأفضل الممارسات الجديرة بالاتباع في تحقيق التراث العربي (الشمسي. 361). وكانت نشراته لبعض كتب الحديث مثل نشرته لكتاب **"الجرح**

والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي (ت. 939) تطبيقا عمليا لمنهجه الأصيل في تحقيق النصوص. وظل المنهج الاستشراقي في تحقيق النصوص يثير الكثير من ردات الفعل بين مؤيد ومتحمس مثل أحمد أمين (ت. 1954) ومعارض مثل أحمد شاكر (ت.1958) وأخوه الأصغر محمود شاكر، فقد عدد أحمد شاكر أوجه القصور في المنهج الاستشراقي في تحقيق النصوص واجتهد في تجريد الاستشراق من هالة السحر التي ينسبها إليه الكثير من المشتغلين بتحقيق التراث (الشمسي. 371-372) لكن أحمد شاكر سيسكت خصومه ومنتقديه من خلال نشرته الفريدة لكتاب الرسالة للشافعي هذا التحقيق الذي أصبح علامة بارزة في تاريخ التحقيق النقدي.

خاتمة

يعتبر كتاب الشمسي كتاب مؤسسا في دراسة حركة نشر التراث العربي في المشرق، وبيان أن نشر التراث كان مرتبطا بتحولات فكرية كانت في طور الحدوث، حيث قام الشمسي بتتبع كتب التراث التي حالفها الحظ وعرفت طريقها للطباعة منذ القرن التاسع عشر. ثم أجاد في بيان توظيف الإصلاحيين لإحياء التراث من أجل خدمة مشاريعهم الإصلاحية، وكذلك علماء المؤسسة الدينية التقليدية، فكل حاول أن يبحث في التراث ما يمثل وجهة نظره.

إلا أن المؤلف رغم تركيزه على مصر إلا أنه غض الطرف عن دور مطبعة المنار التي أسسها رشيد رضا ودورها المحوري في نشر التراث وخصوصا التراث السلفي المتشدد. ولكن المؤلف تجاهل كذلك حركة نشر التراث في المغرب العربي وعلاقة ذلك برهانات المستعمر الفرنسي، ففي الجزائر أسست فرنسا مطابع في القرن 19 طبعت العديد من كتب التراث خصوصا المنتمية إلى بلاد المغرب الكبير، ونبغ العديد من الجزائريين في تحقيق التراث مثل محمد بن شنب (ت. 1929) الذي يمكن أن نقول عنه أن نسخة مغاربية من زكي باشا. في المغرب كان للتنافس بين الطرقيين والاصلاحيين (السلفية الوطنية) دور كبير في عمليات

نشر التراث العربي (فوزي عبد الرزاق، 2023)، بالإضافة إلى أن نشر فرنسا لبعض كتب التراث كان رغبة من فرنسا في إظهار نفسها عارفة بالتراث المغربي أكثر من المغاربة.

المصادر والمراجع:

- الخطيب محب الدين، "حركة النشر والتأليف: كتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندي"، مجلة الزهراء، عدد2، 1 فبراير 1925.
- طاشكندي عباس، الطباعة في المملكة العربية السعودية، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999.
- عبده محمد، "إهمال آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها "، المنار: المجلد 5، الجزء 15، 1 نوفمبر 1902.
- عبده محمد، الإسلام والنصرانية، ضمن الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عمارة، بيروت، دار المشرق، 1993.
- فوزي عبد الرزاق، تاريخ حركة الطباعة والنشر في المغرب خلال فترة الحماية (1912-1955)، دار الأمان، الرباط، 2023.
- مدراري يوسف، الصراع على العقيدة الأشعرية في مواجهة السلفية نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، دار الاحياء، طنجة، 2022.
- اليوسي الحسن، القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تحقيق حميد حماني، الرباط، مطبعة شالة، الرباط، 1998.
- Dayeh, Islam. “From Taṣḥīḥ to Taḥqīq: Toward a History of the Arabic Critical Edition.” *Philological Encounters* 4, no. 3–4 (2019): 245–299.

مركز أفكار للدراسات والأبحاث
Afkaar Center for Studies and Research

https:// Afkaar.Center
afkaarcenter@gmail.com
twitter.com/AfkaarCenter
facebook.com/AfkaarCenter

ALL RESERVED© 2026

جميع الحقوق محفوظة © 2026